Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومنهم من ينتصر لجانب المعنى كالدكتور زكي مبارك استمع إليه يقول في الرد على أنصار اللفظ (وقد كان من القدماء من يرى أن البلاغة لا ترجع إلى المعاني؛ لأن المعاني في رأيهم يعرفها العربي والعجمي، والقروي والبدوي. وإنما ترجع البلاغة إلى جودة اللفظ وصفائه ودليل ذلك عندهم أن الخطب والأشعار الرائعة ما عملت لإفهام المعاني فقط؛ لأن الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها في الإفهام، وأن الكلام إذا كان لفظه حلواً عذباً ومعناه وسطاً دخل في جملة الجيد، وإذا كان المعنى صواباً واللفظ بارداً دخل في جمل المستهجن الملحوظ. أما نحن فنلقى العجم والقرويين جانباً ونحصر البلاغة في جمهور المثقفين. ثم نقرر أن الألفاظ مِلك للجميع يجدونها حيث أرادوا في المعاجم والدواوين ولا يبقى موضعاً للجهد والعنت أو العبقرية إلا المعاني والأغراض، ومن العبث أن نظن أن البلاغة لا تخرج عن المناورات اللفظية، فإن هذا إسراف في تقدير الزخرف، وامتهان لصولة العقول. إن الألفاظ في مقدور كل شاعر وكل كاتب وكل خطيب، ولكن المعجز حقاً هو الفكرة وليس معنى هذا أننا لا نقيم وزنا للصناعة الفنية، ولكن معناه أننا نقرر أن الفكرة تجيء أولاً ويجيء الورق ثانياً كما يقول الفرنسيون)[1].

وفي موضع آخر يقول: «إن ألفاظ القرآن كألفاظ كل كلام عربي مبين لا تمتاز باللفظ ولا بالأداء وإنما تمتاز بالمعنى والغرض والروح»[2].

كان طبيعياً أن تشغل هذه القضية البلاغية أيضاً أدباء أوربا ونقادها، وأن يكون منهم من يؤثر اللفظ ومنهم من يؤثر المعنى، وقد نقل إلينا الأستاذ الزيات جانباً مما دار بين الطرفين في الأدب الفرنسي العريق: يقول: (كان «فلوبير» أمام الصناعة في فرنسا، أخذ نفسه بالتزام ما لا يلتزمه غيره، فكان لا يكرر صوتاً في كلمة، ولا يعيد كلمة في صفحة، وكانت أذنه هي الحكم الأعلى في صوغ الكلام فلا تستسيغ منه إلا ما حسن انسجامه، وتعادلت أقسامه، وتوازنت فقره)[3] ثم يشفع ذلك بما ذكره عنه تلميذه جي دي

(١) النثر الفني جـ ٢/٧٢.
(٢) المرجع السابق حـ ٧٣٢
(٣) دفاع عن البلاغة ص ٦٥.